

التحرير والتنوير

ولما كان أمر الطلاق غير حال من حرج وغم يعرض للزوجين وأمر المراجعة لا يخلو في بعض أحواله من تحمل أحدهما لبعض الكره من الأحوال التي سببت الطلاق أعلمهما الله بأنه وعد المتقين الواقفين عند حدوده أن يجعل لهم مخرجا من الصائقات شبه ما هم فيه من الحرج بالمكان المغلق على الحال فيه وشبه ما يمنحهم الله به من اللطف وإجراء الأمور على ما يلائم أحوالهم بجعل منفذ في المكان المغلق بتخلص منه المتصائق فيه .

ففي الكلام استعارة أن إحداها ضمنية مطوية والأخرى صريحة وشمل المخرج ما يحف من اللطف بالمتقين في الآخرة أيضا بتخليصهم من أهوال الحساب والانتظار فالمخرج لهم في الآخرة هو الإسراع بهم إلى النعيم .

ولما كان من دواعي الفراق والخلاف بين الزوجين ما هو من التقدير في الإنفاق لضيق ذات اليد فكان الإحجام عن المراجعة عارضا كثيرا للناس بعد التطلاق أتبع الوعد بجعل المخرج للمتقين بالوعد بمخرج خاص وهو مخرج التوسعة في الرزق .

وقوله (من حيث لا يحتسب) احتباس لئلا يتوهم أحد أن طرق الرزق معطلة عليه فيستبعد ذلك فيمسك عن مراجعة المطلقة لأنه لا يستقبل مالا ينفق منه فأعلمه الله أن هذا الرزق لطف من الله والله أعلم كيف يهيئ له أسبابا غير مترقبة .

فمعنى من حيث لا يحتسب : من مكان لا يحتسب منه الرزق أي لا يظن أنه يرزق منه .
و (حيث) مستعملة مجازا في الأحوال والوجوه تشبيها للأحوال بالجهات لأنها لما جعلت مقارنة للرزق أشبهت المكان الذي يرد منه الوارد ولذلك كانت (من) هنا للابتداء المجازي تبعا لاستعارة حيث . ففي حرف (من) استعارة تبعية . وذكر الواحد في أسباب النزول أنها نزلت في شأن عوف بن مالك الأشجعي إذ أسر المشركون ابنه سالما فأتى عوف النبي A وشكا إليه ذلك وأن أمه جرعت فقال له رسول الله A : " اتق الله واصبر " وأمره وزوجته أن يكثرا قولا لا حول ولا قوة إلا بالله فغفل المشركون عن الابن فساق عنزا كثيرة من عنز المشركين وجاء بها المدينة فنزلت الآية فيجوز أن يكون نزولها في أثناء نزول هذه السورة فصادفت الغرضين ويكون ذلك من قبيل معجزات القرآن .

(ومن يتوكل على الله فهو حسبه إن الله بالغ أمره) تكملة للتي قبلها فإن تقوى الله سبب تفريح الكرب والخلاص من المضائق وملاحظة المسلم ذلك ويقينه بأن الله يدفع عنه ما يخطر بباله من الخواطر الشيطانية التي تثبطه عن التقوى ويحقق وعد الله إياه بأن يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب .

وحسب : وصف بمعنى كاف . وأصله اسم مصدر أو مصدر .

وجملة (إن ا بالـ أمره) في موضع العلة لجملة (ومن يتوكل على ا فهو حسبه) أي لا تستبعدوا وقوع ما وعدكم ا حين ترون أسباب ذلك مفقودة فإن ا إذا وعد وعدا فقد أرادته وإذا أراد ا أمرا يسر أسبابه .

ولعل قوله (قد جعل ا لكل شيء قدرا) إشارة إلى هذا المعنى أي علم ا أن يكفي من يتوكل عليه مهمة فقدر لذلك أسبابه كما قدر أسباب الأشياء كلها فلا تشكوا في إنجاز وعده فإنه إذا أراد أمرا يسر أسبابه من حيث لا يحتسب الناس وتصاريـف ا تعالى خفية عجيبة . المراد على الحصول في مشهور مجاز والبلوغ . مراده إلى واصل : (أمره بالـ) ومعنى A E . والأمر هنا بمعنى الشأن .

وعن عبد ا بن رافع لما نزل قوله تعالى (ومن يتوكل على ا فهو حسبه) قال أصحاب النبي A " أي بعضهم " : فنحن إذا توكلنا نرسل ما كان لنا ولا نحفظه فنزلت (إن ا بالـ أمره) أي فيكم وعليكم اه .

وقرأ الجمهور (بالـ) بالتنوين و (أمره) بالنصب . وقرأه حفص عن عاصم (بالـ أمره) بإضافة (بالـ) إلى (أمره) .

(قد جعل ا لكل شيء قدرا [3])